

عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلُ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب



عائد من الظلام!

- الحلقة الرابعة والعشرون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الرابعة والعشرون -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



(٥٤)

فتح "محمد، مادو" عينيه، فأبصر بأخيه "أحمد" والمجاهدين حوله؛ يمسحون وجهه بالماء الفاتر، ويدلكون يديه وقدميه، والقلق واضح عليهم بمن فيهم "أحمد" الذي كانت عيناه تذرفان، وازدرد "محمد، مادو" ريقه بصعوبة، ثم سأل بضعف:

- أين أنا؟

همس "أحمد":

- أنت بأمان، لا تقلق، أنت بين أطهر خلق الله: المجاهدين.

أغمض "محمد، مادو" عينيه، فسأله "أحمد" بحذر:

- هل تذكرت كل شيء فعلاً؟

همس "محمد، مادو":

- نعم، تذكرت كل شيء..

وفتح عينيه ناظراً لأخيه، وسأل:

- إذا فتلك المرأة الباكية التي لم تكن تفارق أحلامي: هي أمي؟

همس "أحمد":

- نعم، إنها لم تنقطع عن البكاء ولا الدعاء لك يوماً!

- هل تراها؟

- نعم؛ كلما استطعتُ ذلك.

ساد الصمت، فعاد "أحمد" يهمس وقد ازداد بكاء:

- عد إلى الإسلام مجدداً بالله عليك وأرحني، أنا مشتاق لضمك ثانية يا شقيقي!

حاول "محمد، مادو" النهوض، فساعده "أحمد"، وحين استوى جالساً نقل بصره بين المجاهدين، وإذ رأى نظرات الاهتمام في عيونهم؛ فقد شعر بالجل، وخفض بصره قائلاً:

- لا تقلقوا، أنا بخير، شكراً لكم.

كتف الأمير ذراعيه مبتسماً، وأصاخ سمعه للعبارة التي ينتظرها من "محمد، مادو":

- وأريد العودة إلى دين الإسلام!

هتف المجاهدون بفرحة:

- الله أكبر! الله أكبر!

استعد "محمد، مادو" للاغتسال كما أخبره المجاهدون، وحين عاد إليهم بعده: اقترب الشيخ منه مبتسماً، ولقنه الشهادة، وأقبل المجاهدون يصافحونه ويهنئونه، وحين وصل الدور إلى "عثمان"؛ احمر وجه "محمد" نجلاً، بينما اعتصر "عثمان" كفه قائلاً وهو يتسم:

- أهلاً بك بيننا يا أخي، لله الحمد أن كان شجارنا الصغير سبباً في هذا الحدث السعيد.

قال "محمد" بنجل:

- شكراً لك يا.. يا أخي.

وأخيراً؛ تلاقت نظراته مع شقيقه الباكي، الذي احتضنه طويلاً، وهو يتذكر كل سنوات البعد والعذاب والمعاناة التي سببها القساوسة الكفرة الفجرة، وابتسم المجاهدون لمنظرهما المؤثر.

وأخيراً اجتمعوا حول الطعام، وسأل الأمير "عروة" هامساً:

- هل من أخبار حول أخينا "مصعب" ومن معه؟

رد "عروة" هامساً بدوره:

- تُتَوَقَّعُ عودتهم مساء اليوم أو صباح الغد إن شاء الله تعالى.

هز الأمير رأسه مرتاحاً، وتأمل إخوانه والسرور يغمرهم لا سيما "أحمد"، وتمتم بمحمد الله تعالى، واستغرب "محمد" حين رأى الأمير يبتسم لأحد المجاهدين برفق، ثم يناوله رغيف الخبز الذي لم يستطع المجاهد الوصول إليه لبعده عنه، ربما كان الأمر بسيطاً بالنسبة للمجاهدين الذين لا فرق بينهم إلا بالتقوى، إلا أنه أمر عظيم عند "محمد"، الذي كان يرى كل صليبي يحتقر من هو دونه مركزاً وإن كان في مركز بسيط كرئيس للطلاب! وهذا الأمير الكبير الخطير عالمياً يتصرف بهذا التواضع العالي والأدب الجَمِّ والخلق الرفيع!! وتند "محمد" بارتياح، وهو يشعر بقلبه يخفق بمعاني السمو والرفعة بين أطهار الخلق هؤلاء..

وعندما انتهوا من الطعام، استمعوا للدرس اليومي، وكان "محمد" منبهراً به وإن لم يفهم كل شيء لحداثة عودته إلى الإسلام، وبرغم هذا فقد تفاعل بكل جوارحه مع كلام الشيخ المؤثر وموعظته البليغة، وشعر بالدموع تترقق في عينيه كغيره من الإخوة، وكم أسعده هذا! إنه يتفاعل مع الأمور مثلهم تماماً، وهذا يعني أنه فعلاً صار واحداً منهم، رغم النقص الكبير الذي عليه تلافيه، والذي لم يعايره أحد به! كم أدهشه هذا! وكم أسعده! كان يحتضن بعينه كل الوجوه بإكبار وامتنان، ويهمس بمحمد الله تعالى في كل آن، وصحا من تأملاته وخواطره على صوت الأمير

يدعو مجلسه إلى الاجتماع، فدخل الأعضاء إلى خيمة الأمير، بينما تفرق المجاهدون كلُّ لشأنه، وخَفَّ "محمد" إلى أخيه الحبيب "أحمد" يستزيده من أخبار أهله وقريته.

وفي الخيمة؛ قال الأمير:

- باسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تتم الحضور بالصلاة على النبي ﷺ، فتابع الأمير:

- بعون الله عز وجل؛ أفتتح هذا الاجتماع الذي أسأل الله أن يكون نافعا طيبا مباركا، وأن يوفقنا جل جلاله إلى الوصول فيه لقرارات حكيمة مسددة.

قال الحضور:

- آمين.

قال الأمير وهو ينقل بصره بين إخوانه:

- أمامنا ثلاث مسائل مهمة؛ الأولى: مسألة أخينا "محمد"؛ الذي من الله تعالى عليه، وأنقذه من الظلمات إلى النور بفضله وكرمه، ولكن هذا الحدث السعيد هو بداية دربه فحسب.

والتفت إلى الشيخ، وتابع مبتسمًا:

- إن أخانا "محمدًا" بحاجة أكيدة إلى دورة شرعية شاملة يا أخي الشيخ؛ فأرجو أن نتولى ذلك، كما لا أوصيك؛ أريد أن تتخلص روحه من شوائب الألم الذي قاساه؛ ليكون مجاهدًا قويًا بعون الله تعالى، قد تعثره موجات حزن تعلو في نفسه لتهوي بعزيمته؛ فأرجو أن تكون مستعدًا، وتكون معينًا له إبان ذلك، وأنت أهل للأمر كما أحسبك.

هز الشيخ رأسه بوقار، وقال:

- سمعًا وطاعة أخي الأمير، سأستعين بالله تعالى وأقوم بواجبي تجاهه.

ابتسم الأمير، ثم قال:

- جيد، بارك الله فيك.

قال الشيخ:

- وفيك بارك الله.

التفت الأمير إلى الجميع، وقال:

- نأتي للسؤال الثانية؛ ألا وهي الإشارات الخطيرة المهمة التي تضمّنها كلام أخينا "محمد" خلال حديثه عن قصته حين كان "مادو"؛ أريد تقاريرَ شاملةً مفصلة عن ذلك المعسكر وأعماله وأهدافه، وإفاداتٍ وافية عن أمر الامتحان الكبير إياه، ولا تنسوا التحري عن مدى علاقة المعسكر بالجيش، أريد نشاطاً وهمّة كعادتكم بارك الله فيكم، أريد معلوماتٍ وأسماء ومواعيد، أريد أن أشعر أنني بينهم وضمن أفكارهم، لا تفوتكم فائتة مهما كانت؛ فيعلم الله تعالى أي شريريدون، وأي خير كبير قد نحرزه إن تصدينا لهم.

كان الكل يصغي بتركيز، وحين انتهى الأمير من الكلام؛ استأذن "صهيب" ثم قال:

- أبشريا أخانا الأمير؛ فكلنا صُبعنا بذلك الكلام الخطير، ونريد الحيلولة بعون الله تعالى دون وقوع تلك الكوارث، سأعد لفضيلتكم تقريراً مبدئياً عن تصوّري للأمر كله، وعن الأمور التي سأحتاجها لتنفيذ المهمة على أكل وجهه، ولا بد أن تكون لدي جلسات طويلة مع أخينا "محمد"؛ أستزيده فيها من التفاصيل والمعلومات، وحتى سمات القساوسة المهمين والقائمين على تلك الجرائم...

وابتسم ثم تابع:

- فلا أخفيكم أنني متحمس للعمل على محاولة اختراق صفوفهم يا فضيلة الأمير.

ابتسم الأمير وقال مشجعاً:

- المؤمن لا يعجزه شيء ما دام متوكلاً على الله عز وجل بعد أخذه بالأسباب،
جيد جداً، في انتظار تقريرك هذا يا أخي وبتشوق لا يسعني إخفاؤه.

ابتسم "صهيب" بخجل، ثم تتم:

- أبشر بما يسرك يا أخي الأمير.

بادل الأمير الابتسام، ثم تنح "عروة" وسأل بعد تردد:

- معذرة يا أخي الأمير؛ لكن.. ماذا بخصوص أخينا "عثمان"؟

نظر الأمير إليه مبتسماً، وقال:

- إنها المسألة الثالثة يا أخي.

وتنهى ثم تابع:

- صحيح أن ثمة خيراً في كل شر، وأن اندفاع أخينا "عثمان" كان سبباً لوصول
أخينا "محمد" إلينا، إلا أن هذا كله لا ينفي وقوع "عثمان" في خطأ جسيم فادح،
لا يقبل حتى من المبتدئين، ولهذا.. فقد قررتُ حرمانه من الخروج في أية عملية
حتى إشعار آخر أحده بمشورتكم عندما تتفق نظرتنا على أنه نال عقاباً كافياً،
إضافة إلى ذلك: لا بد من إخضاعه لدورة أمنية تقوم بالإشراف عليها أنت شخصياً

يا أخي "عروة"، هل من اقتراحات أو مناقشة فيما وصلتُ إليه بخصوص أخينا
"عثمان"؟

تبادل الكل النظرات، وبدأ أنهم جميعاً يوافقون الأمير؛ فقال الشيخ متحدثاً
باسمهم:

- لا وسدّدك الله يا أخانا الأمير، هذا القرار فيه تأنيب كاف، كما فيه إفادة
وإنصاف؛ فأخونا "عثمان" راسخ العقيدة، قوي الشكيمة، كما نحسبه، لكن عليه أن
يستكمل مزاياه بزيادة الحرص الأمني.

هز الجميع رؤوسهم مؤيدين، فقال الأمير:
- على بركة الله تعالى؛ تُعتمد القراراتُ وتنفَّذ.

قال كاتب الأمير:
- سمعاً وطاعة أخي الأمير.

يتبع ...

